الشباب وروح الشهادة

يمتلئ تاريخ الكنيسة المحبوبة بحياة الشهداء، حتى اننا نسميها بحق كنيسة الشهداء، ويلذ لنا دائمًا أن نتأمل في حياة ابائنا وأجدادنا لنسلك في اثارهم ونقتفي اثر خطواتهم..

ولا شك ان كل ابن للكنيسة القبطية يود أن يكون شهيداً ***"فأعطوا كل واحد ثيابًا بيضاً وقيل لهم ان يستريحوا زماناً يسيراً أيضاً حتى يكمل العبيد رفقاؤهم واخوتهم العتيدون أن يقتلوا مثلهم"*** (رؤ ٦ : ١١).

فهل الكنيسة.. وبالذات شبابها يسلك في طريق الشهادة أم لا؟ وهذا سيجعلنا نتأمل في معنى الشهادة وفي نفسية الشهيد؟!

اولا - الشهيد شخص مدين للمسيح بحياته

"وهو مات لأجل الجميع كي يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم بل للذي مات لأجلهم وقام" (٢كو ٥ : ١٥).

من هو المسيحي الا الانسان الذي يتذكر دائماً ان الرب يسوع بذل ذاته من اجله لقد انقذني من هلاك ابدي.. وانا مدين له بالحياة التي احياها.

لذلك عندما جاء الوقت للتفضيل بين الشهادة أو انكار المسيح.. كان الرد السريع نحن مدينون له بحياتنا فلا أقل من أن نقدم له اجسادنا.

مثال:

المرأة الخاطئة.. سامحها الله بكل خطاياها.. انقذها من الهلاك.. قال عنها رب المجد في المثال الذي ضربه لسمعان.. ***"كان لمدين على الواحد ٥٠٠ دينار وعلى الأخر ٥٠ واذ لم يكن لهما ما يوفيان سامحهما كليهما فقل ايهما يكون اكثر حبا له"*** (لو ٧ : ٤١ - ٤٢).

فالرب يسوع كشف عن أعماق قلب المرأة التي **أحبت كثيراً، لأن دينها الكبير قد غُفر اذ لم يكن لها شيء تدينه.**

لقد عبرت عن هذا الدين بالحب الكثير:

بالشكر الكثير.. فقدمت قارورة الطيب.

بالعجز عن سداد الدين.. وقفت كالمسكين العاجز من ورائه باكية.

بالاحتمال لأجل الله.. فلم تعمل حساباً لتعيير الفريسيين.

والمجدلية عبرت عن حبها:

بالخدمة.. كانت تخدم الرب من أموالها (لو ٨).. وبشرت الكثيرين حتى جذبت إليه نفوساً كثيرة

بالتضحية والترك.. تركت قصرها وماضيها الأسود، وملذاتها وكل مالها.

بالحب المتدفق.. فرافقت الرب حتى الصليب..

وكانت أول من ذهب إليه فجر القيامة ومعها الحنوط.

أخيراً جالت طول حياتها كارزة للرب يسوع الذي سامحها. ولو كان قد طلب منها أن تستشهد نظير تركها الرب

لاستشهدت محبة في المسيح.. بل انها تمنت الشهادة محبة في المسيح..

احبائي الشبان:

ان القلب الذي تعود التأمل في الصليب وفي الغفران. يمتلئ بالحب الذي يعبر عنه بأي صورة ممكنة، تظهر حتى اذا شاء الرب في سفك الدم.

يقول التاريخ عن القديسين مكسيموس ودوماديوس الشابين انهما:

+ احبا المسيح، فتركا العرش وهربا من مجد العالم.

+ سكنا في الجبال والبراري، من أجل عظم محبتهما في الملك المسيح.

+ عبّرا عن تعبهما من أجل المسيح في السهر والصلاة والصوم.

لذلك قال عنهما القديس أبو مقار عند نياحتهما: "هلموا نعاين مكان شهادة الأخوة الغرباء". مع انهما لم يستشهدوا بالسيف. ولكنهما عاشا بقلب محب عاشق للصليب.

ثانيا - الشهيد انسان عرف معني الخطية وقيمتها:

الخطية هي التي اصعدت الرب على الصليب، اذ لم يكن لبيلاطس ولا لليهود سلطان على الرب لو لم تجبره محبة خلاص البشر على حمل خطاياهم. لذلك فالخطية التي نصنعها اليوم هي كسر لقلب الرب وتجديداً لجراحاته. فالشاب الذي لا يسير في ظل الصليب يتلذذ بالخطية ويشربها كالماء، أما الذي أحب الرب وأحس بجراحاته فهو يستشهد ضد الخطية كما يقول الرسول ***"لم تقاوموا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطية"*** (عب ١٢ : ٤).

أقول الحق أمام المسيح أن جيلنا الحالي يحوي شهداء جبابرة من الشباب القوي ***"الذي يحاضر بالصبر في جهاد الموضوع أمامه.. ناظراً إلى رئيس الايمان و مكمله يسوع***

الذي احتمل الصليب مستهيناً بالخزي" (عب ١٢ : ١ - ٣).

يقول لنا التاريخ أن القديس مار جرجس في الليلة الاولى من ايام استشهاده ادخلوا معه في حجرة واحدة امرأة خليعة لتسقطه في الخطية وبذلك يفسدون ايمانه فركع يصلي وفي الصباح قالت له: "احضروني لأسقطك بسحر خلاعتي فجذبتني إلى المسيح بسحر طهارتك"

ويقول لنا التاريخ عن البابا متاؤوس، عندما ارادت امرأة ان تسقطه في الخطية قال لها: "ماذا يعجبك فيَّ" فقالت: "عيناك". وللحال اخذ المخراز وفقأ عينيه فهربت جارية.

وعن الاب الراهب الذي ذهبت إليه المرأة لإغوائه، فتظاهر بالموافقة وقال لها ان تستريح حتى يجهز بعض الأمور وأوقد النار وأخذ يدوسها برجليه فاضطربت المرأة وقالت: "ما هذا؟" فقال لها: انا الآن أجرب قدرتي على احتمال هذه النار قبل ان تُدخليني نار جهنم وللحال هربت المرأة..

هذه صورة حية للشهادة، بل أقول العكس إنه لا يوجد شهيد بسفك الدم لم يستشهد أولاً ضد الخطية

ثالثا - الاستشهاد من أجل وصية الرب يسوع

"من أجلك نمات كل النهار قد حسبنا مثل غنم للذبح"

(رو ٨ : ٣٨).

"إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي"

هذه هي وصايا يسوع:

"أحبوا أعداءكم.."

"من أراد أن يخاصمك و يأخذ ثوبك فاترك له الرداء" .

"لا تحلفوا البتة" .

"أن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه"

"لا تكنزوا لكم كنوزاً على الارض" .

"بيعوا امتعتكم واعطوا صدقة" .

"لا تهتموا بالغد" .

"لا تدينوا" .

"ادخلوا من الباب الضيق" .

"طوبي للمساكين بالروح، وللحزانى، افرحوا اذا اضطهدوكم" .

ايها الاخوة الشباب.. هذا هو طريق الاستشهاد طول النهار ولكننا على العكس نرى اليوم صوراً مؤسفة للشباب الذي لم يسلك طريق الاستشهاد في الحياة كلها شكوى وتذمر على وصايا يسوع وهروب من الباب الضيق، وانشغال بالغد، وقلق على المستقبل ومحبة للمال، وعدم رضي أو قناعة، وضعف في طاعة الرؤساء وضعف في المحبة، ومحبة للإدانة..

هذه انواع من الشباب المهزوم الهارب من الشهادة

رابعا - الشهادة بأعمالنا الحسنة وكرازتنا

"كي يري الناس اعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذي في السموات" ، *"وتكونون لي شهوداً في أورشليم واليهودية والسامرة وإلى أقاصي الأرض"* .

والنظرة المسيحية للعمل أو للحياة الأرضية أنها ليست هدفاً بل وسيلة يستخدمها الله لتشهد له. وإليك مثل عملي لرسالة بعثها البابا ثاؤنا السكندري إلى كبير أمناء القصر الإمبراطوري (أيام دقلديانوس) وقد كان مسيحياً فيقول: ".. فليكن هدفك التمسك بالمسيحية فعلاً لا اسماً. لأننا ان سعينا وراء تحقيق مجدنا الخاص فنحن نسعى وراء ما يزول، وأما أن سعينا وراء **مجد الله** فنحن نسعي وراء ما هو باق وخالد.. اشكر الله الذي منحك نعمة جعلتك مقرباً لدي الإمبراطور لتكون له رائحة المسيح الذكية".

من هذا نرى أن المسيحيين يعتبرون **وظائفهم وأعمالهم وسيلة لتمجد اسم الله** والشهادة له وليس هدفاً للكسب والمجد الذاتي وهذا يعني وجودك في وظيفة ما في بلد ما وفي عمل ما كل هذا معين من الله لمجد الله وليس لذاتك. فالمسيحي مجند للشهادة للمسيح بمحبته وبأعماله الحسنة وبمجاوبة كل من يسأله عن سر الرجاء.

ثم يكمل البابا الرسالة قائلاً: ".. كن نصيراً للحق.. ولا قدر الله تكون ممن يرتشون لبلوغ مأرب أو لتملق السلطان..

تنزه عن حب المال الذي لم يكن إلا نوعاً من العبادة الوثنية. اعتصم باللياقة والأدب. إياك والتفوه بألفاظ نابية أد واجبك على الوجه الأكمل. أحبب كل من معك في القصر واعتبر كل أوامر الإمبراطور صادرة من الله مادامت غير مخالفة لتعاليمه.. تمنطق بالفضيلة وليكن قلبك مفعماً بالإيمان والرجاء والمحبة.. خصص من وقتك فترة للصلاة وتلاوة الكتاب المقدس الذي تتخذه لك دستوراً تسلك في حياتك بمقتضاه فتنال بذلك حياة الأبد". (عن قصة الكنيسة ص ١١٤).